محمد الحضيف



غوانتانامو...

مجموعة قصصية

غوانتانامو..

الغلاف :
لوحة : محمد الحضيف
تصميم : أروى محمد الحضيف (نكتار)

د. محمد بن عبد الرحمن الحضيف

غوانتانامو..

مجموعة قصصية

الطبعة الأولى
١٤٢٤ - ٢٠٠٣

مراسلة الكاتب:

د. محمد الحضيف
ص . ب ٢٣٣ الرياض ١١٣٧٢
Alhodaif@Alhodaif.com


بسم الله الرحمن الرحيم

بين يديه ..!

أهدي هذه المجموعة للعزيز/ فهد القاسم . رجل .. خَرَجْتُ من السجن (عدماً) ، فوهبني (حياة) .. مُحَاصَراً ، فَمَنَحَنِي (الأمل) .. يخنقني (الظلام) ، فَأَوْقَدَ في طريقي (شمعة)..

رجل أُشَرِّف الكلام بالحديث عنه ، أُركض خَيل بلاغتي في مضمار بَهَائِه.. فتتعب .. !

فعليه السلام:

يوم ولد .. ويوم يموت .. يوم يبعث حياً ..

توقيـع..!

علينا أن نعي أنهم هناك ، وأن الحادي عشر من سبتمبر شجعهم على الظهور ، وأنه كلما أسرعنا في إنهاء المسألة العراقية ، أمكن لنا تهدئة النزاع الإسرائيلي الفلسطيني ، وأدى ذلك لاكتساب طرحهم المزيد من الزخم.

تمنوا لهم التوفيق ، فهم عبدالرحمن الراشد ، وعبدالله أبوالسمح وأسامة الغزالي حرب .. أفضل من يمكن أن نعلق عليه الآمال، بشأن إحداث تغيير من الداخل ، وهو التغيير الوحيد .. الذي يهم الجميع .

توماس فريدمان

الصحافي الأمريكي اليهودي

جريدة الشرق الأوسط

التاريخ : ٢٠٠٢/١٢/١٦

(مجلة الأسرة- ذو القعدة ١٤٢٣هـ)

(لا) .. مطلوبة ..!

الزمان : شباط ١٩٨٢ .

المكان : مدينة على خارطة الجسد الجريح .

ضجيج الآليات يملأ سمع المكان .. الموت ينتشر في الأرجاء ..الدمار نبت في كل زاوية.. همهمة الجنود ، اختلطت بالغبار الناتج من أنقاض المنازل ، التي دكها القصف ..

كل اللغات محاصرة .. إلا لغة الموت . الموت يتكلم ، و يحيل كلامه إلى تواقيع على جماجم الأطفال ..

الدبابات اتخذت لها ميادين من بطون الحوامل .. الأجنة (مذنبة) فبقرت البطون لإيقاع (العقاب) اللازم .. !

الدم يتنفس ..

الدم يسيل .. الدم يجري .. يتجمد من الهول .. يموت ..

وأصوات الأوامر :

- ابحثوا عن "لا" في كل رأس ..

- كل الـ (لاءات) مطلوبة يا سيدي ؟!

- هاتوا كل "لا" .. كل شيء ما عدا نعم ..!

انهالت الأعقاب على الرؤوس ، دون النظر إلى خانة الجنس أو العمر .

- ياسيدي لم نجد أي "لا" .. لعلها انسحبت قبل وصولنا!!

- مستحيل أن تنسحب .. المكان محاصر تماما بجيش الشعب ، وبالأجهزة الأمنية الوطنية ..!

ثم .. " الله أكبر .. أشهد أن لا إله إلا الله " ..

صاح :

ـ هاتوا تلك الـ"لا" .. إليَّ بها !

ـ و لكن يا سيدي .. إنها ليست ككل الـ " لاءات " التي سُحِقت !

أيها الحقير .. " لا" .. الزعيم القائد فقط .. هي التي ليست ككل الـ "لاءات" .. لا أحد غيره .. لا أحد .

ـ يا سيدي ها انت تقول "لا" أحد .. فهل هذه أيضا للرئيس ؟!

ـ نعم إن (الأحد) هو الرئيس القائد .. وهذه الـ"لا" تخصه هو ..!

مرة أخرى :

" لا إله إلا الله "

ـ ماذا تنتظرون يا كلاب ؟!

انهالت الحمم .. وتدفق الموت .. وخيم الدمار .. كل شيء صار بلا حراك .. إلا الدخان الذي بدأ ينسحب بذهول .. و رائحة الدم التي تهرول في أنحاء المكان كالمجنونة ..

المئذنة سويت بالأرض ..!

ـ الصوت اختفى يا سيدي ..!

ـ احضروا لي تلك الـ"لا" .. أفي ظل عدالة الزعيم القائد هناك مكان لـ "لا" ؟!

" نسي الطين ساعة أنه طين فتاه و عَرْبَد "

الجرح يكبر .. صار طوله يوما .. يومين .. أسبوعين .. شهرا .. عاما ..

تحامل الجرح على نفسه .. نهض .. نادى مجموعة من الأشباح ..

لم يكن هناك أحد .. (كان) هناك أحد ..

تمدد الجرح .. تمدد و استحال لعنة .. غمس إبهامه في بحيرة كبيرة من الدم .. تمتد من الكرامة إلى حقوق الإنسان ..

ركعت الأشباح ..

الإبهام الكبيرة .. طبعت على جبين كل (شبح) : " عار إلى الأبد "..

البصمة ثقيلة ..

لكن الأشباح استمرت ترقص على الجراح ..

حمل الجرح نفسه .. زحف .. ألقى بنفسه على خشبة التاريخ ..

اغلقت الأشباح الستارة .. و الجرح يرفض الحراك..!

ازيحت الستارة .. ظل الجرح واقفا ..

تراكضت الأشباح ..

علت ..

هبطت ..

تباكت .. صرخت .. أعولت ..

وبقي الجرح واقفا يشير إلى كل الأشباح :

هذا التاريخ لا يغفر .. و لا ينسى ..

الرياض

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣

الدرس ..

أكثر شيء يضايقه ، حينما تبدأ زوجته بعقد مقارنة بينه وبين زملاء دراسته في الجامعة ، تقول :

- تأمل .. فلان أصبح مسؤولاً كبيرا في الدائرة الفلانية ، وانظر .. فلان غدا صاحب منصب رفيع في تلك المؤسسة . تفعل ذلك وهي تضع السفرة ، وتفعله وهي ترفعها ، وحينما تشرب معه الشاي في غرفة المعيشة ، أو عندما يخرجان هما والأطفال في السيارة لغرض ما . وهي غالبا ما تختم حديثها قائلة : " أنا أعلم أنك لست أقل منهم قدرة وكفاءة .. أليس ذلك عجيبا ..؟ " .

كثيرا ما يرد على تساؤلاتها بابتسامة ، وقد يقول أحيانا ، حينما يراها مهتمة جدا :

- ألسنا نعيش مثلهم وأحسن .. وهل قصرت عليك بشيء يا حبيبتي ..؟

تستحي وتقول :

- لا .. فقط أنا أتعجب ، الا ترى أن هناك سراً ..؟

- ربما ..

في واقع الأمر هي تعرف ما تسميه (سراً) ، لكنها لا تجرؤ أن تقول لزوجها : افعل مثلهم لتصل .. رغم أنها تعيش في أعماقها صراعا ، بين ما تراه من قدرات زوجها ، وبين القيم و المثاليات التي يتمسك بها ، وترى انها تحول بينه وبين ما تطمح إليه من اهداف .

رغم انها تعلم انه لا يقبل المناقشة في هذا الموضوع ، ويعده مسألة مفروغاً منها ، إلا انها لا تفتأ تلمح له ، من خلال ضرب الأمثال ، أن مواقفه ضرب من المستحيل ، كأن تقول : (من لا يحني رأسه تقتلعه العاصفة) ، أو (اليد التي لا تقدر على كسرها قبّلها) ، وغير ذلك من الرصيد الضخم من الأمثال الشعبية ،

مثل (الموت مع الجماعة رحمة) .

هي تعلم أن كل هذه القصص والأمثال لا تؤثر فيه ، بقدر ما تزعجه ، وأحيانا تثيره ، عندما تذكر له بعض أصحابه القريبين ، الذين شاركوه في يوم من الأيام مبادئه ، أو ما تسميه هي مثالياته وأحلامه ، ثم تنازلوا عنها، أو عن بعضها ، وبقى هو لم يتغير ، حتى أطلق عليه أحد اقاربه تندرا : (الحرس القديم) .

حدثها مرة ، فقال :

- هل تعلمين كم من البطون الجائعة ، والأجساد العارية ، سوف يُسد رمقها ، ويكسى عريها لو استؤصل الفساد ، ووضعت الأموال في مكانها الصحيح ؟ تخيلي .. صاحبي ، صاحب المبادئ ، أو الذي كنت أظنه صاحب مبدأ ، يقول : "أنت لا تستطيع أن تواجه التيار وحدك .. لا تركب رأسك .. لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة .. إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" . فجأة يا زهراء ، تحول صاحبي ، ذلك (الأصولي الشرس) ، الذي يشن في جلساتنا الخاصة ، الحملات الشعواء على الفساد والمحسوبية ، وصروح الربا ، والإعلام الفاسد ، والفضائيات الداعرة ، إلى حكيم .. إلى حمامة وديعة . يقول : "علينا أن نتدرج في الخطاب ، حتى نصل إلى موقع القرار ، الذي نستطيع من خلاله أن نمنع الفساد .. إن الحكمة تتطلب ذلك" .

الحكمة يا فضيلة (الشيخ) .. الحكمة أيها (الداعية) الكبير .. أم المنصب الذي (يسيل لعابك) ، من أجله .. ؟ لا .. لا .. هذا غير صحيح .. سأصعّد الأمر ، وليكن ما يكون .

ردت عليه محتجة :

- لماذا تركب رأسك ، لماذا انت عنيد .. هل أنت وكيل آدم على ذريته . هل تريد أن تدمر نفسك ، وتدمرنا معك ، مثلما حرمت نفسك من الفرص الجيدة والترقيات..؟

- هل تقبلين بالفساد ، وأكل الأموال بالباطل ..؟

- ما شأننا نحن .؟ ألست تقول إن فلاناً وفلاناً من أكثر من عرفت نزاهة وإخلاصا ..؟ لماذا لا نسمع لهم صوتا ..؟ وانظر فلان وعلان ، الذين طالما تطعمت بالحديث عن التزامهم وتضحياتهم ، وأقحمت ذكرهم في أمسياتنا . اين صاروا .. واين اصبحت أنت ..؟ وجاهة .. وأموال ، أو (بزنس وبرستيج) ، على حد تعبيرك .. !

- هذا عرض قريب ، وسفر قاصد يا زهراء .. والحرة تموت ولا تأكل بثدييها ، وما عند الله خير وأبقى ..

- يا أبا يمامة لم يصل الأمر بعد إلى هذا الحد .. وأصدقك القول انني منذ تلك الليلة الهادئة المقمرة ، قبل عدة سنوات ، حينما حدثتني ، ونحن في الطريق إلى مكة ، عن أبى ذر الغفاري - رضي الله عنه - ، بذلك الشغف الممزوج بالشجن ، وانا أحس أنك تحلق في سماء لا أرض تحتها .. لكني لم أجرو على مناقشتك ، وتركتك في أحلامك الوردية . وأصدقك القول كذلك ، انني احيانا اشك بأنك واقعي . لماذا يا أبا يمامة تريد أن تكون رأسا تناطح ..؟ لماذا .. لا ..

في هذا اللحظة دخل بشير ، يترنم بكلام ويتضاحك ، فقطع كلامها . قال بشير ، وهو الابن الذي يدرس في الصف الثالث ابتدائي :

- اليوم يا أبي قص المدرس علينا قصة جميلة جدا .

- ما هي القصة يا بشير .؟ سأله باهتمام .

- قصة الفلاح وابنه يا أبى ، الا تعرفها ..؟ ثم أخذ يترنم : (لا تكن رأسا .. لا تكن رأسا دن .. دن ..)

سكت ولم يجبه . لكن بشير واصل حديثه :

- قال الفلاح يا أبى لابنه : (يابني لا تكن رأسا فإن الرأس كثير الآفات) . ومضى يروى ما سمعه من أستاذه بسرد طفولي عذب .

زهراء شعرت بارتياح ، أن جاءت حكاية الأستاذ متوافقة في جانب منها مع ما كانت تناقش زوجها فيه ، لكنها لم تشأ أن تصرح له بذلك ، أو أن تقول : أرأيت ، أو انظر .. الناس كلهم رأيهم هكذا . كان بشير يتحدث ، وتند منه بين حين وآخر ضحكة إعجاب بالقصة . غمغم وقال بصوت لا يكاد يسمع :

(بئسما علمك أستاذك .. لا تكن رأسا .. ماذا تكون إذن .. ذنبا ..؟) .

ثم أضاف:

- يقول المدرس لا تكن رأسا ، الم يعلمكم ماذا تكونون ..؟

فوجئ الطفل بالسؤال فتوقف عن الكلام . وصار ينقل نظراته بين أبيه وأمه ، التي هي كذلك لم تتوقع سؤالا كهذا . فاغتنم فرصة حيرة الطفل ، وارتباك أمه ، ليلقي سؤاله المقصود :

- هل يعني أن تكون ذنبا ..؟

شعر الطفل بالخجل ، وأحس أن العبارة جارحة نوعا ما ، وفيها خروج عن اللياقة التي رباهم عليها ، وإن كانت لا تخلو من السخرية . أدركت أمه ما يدور في ذهنه فأرادت ان تنقذ الموقف ، فقالت :

- أبوك يعني ان الذنب ، أي الذيل لا قيمة له .

نظر إلى وجه أبيه مستفهما ، فرد عليه بابتسامة ، فانطلقت منه ضحكة مدوية ، كأنما أعجبه الاستنتاج الذي توصل إليه أبوه ، وتطوعت أمه بتوضيحه .

توقف عن الضحك وقال مجيبا على سؤال أبيه :

- أكيد لا .. ولم أفكر ، ولا أحد من الطلاب بهذا السؤال . المدرس تحدث فقط عن مشاكل الراس ، كما حكى ذلك الفلاح لابنه .

- إذن هو لم يتحدث عن معنى أن يكون الإنسان ذنبا ، بدل أن يكون راسا .. أقصد ، أنه لم يذكر أن الفلاح قال لابنه شيئا حول ذلك ..؟

قال بشير :

- لا .

- وانت يا بشير إذا كان الراس كثير الآفات ، هل تحب أن تكون ذنبا ..؟

- لا .. طبعا ..

- ولا ذنب حصان يا عزيزي ..؟

قاطعته زوجته منزعجة :

- أبو يمامة .. ما هذا النقاش ..؟ الطفل لا يعي ما تقول .. والموضوع كله لا يعدو قصة قصها المعلم من باب الفكاهة لا غير..!

- هل تعتقدين ذلك ..؟ ما رأيك يا بشير .. هل تريد أن تكون ذنب حصان ..؟

لم يجب ، وإنما ظل ينظر إلى أبيه تارة والى أمه تارة أخرى .

- الحصان جميل أليس كذلك يا بشير ؟

هز رأسه بالإيجاب .

- انت رأيته ..؟

قال الطفل:

- نعم . رأسه وذنبه .. كلاهما جميل .. أليس كذلك ؟

- نعم .

- أسألك .. وقل لي بصراحة .. أيهما تحب أكثر ..؟

أجاب بشير بلا تردد:

- الرأس ..

سحب رأسه إليه ، وأخذ يداعبه بمرح ، ويقول :

- ممتاز يا بشير .. ما رأيك لو نأخذ الليلة درسا عن الراس والذنب . ضحك بشير .. وأعلن موافقته . الدرس للجميع .. لي ولأمك ولك ولإخوانك .. جيد ..؟

هز رأسه موافقا .

- بعد المغرب إن شاء الله ، سنذهب جميعا إلى المكتبة ، لنشترى المواد الضرورية للدرس ، ونعود إلى البيت ونجهزها ، ثم نأخذ درسنا بعد الرجوع من صلاة العشاء .

عادوا من المكتبة ، بعد أن اشتروا صورا لاصقة ، لحيوانات مختلفة وبحجم واحد ، واشتروا معها كذلك ، لوحا أبيض . بعد صلاة العشاء اجتمع بشير وأمه وإخوته . قال والده :

- قبل أن نبدأ الدرس ، سنقوم بقص كل صورة إلى ثلاثة أجزاء . الجزء الأول يشمل رأس الحيوان فقط ، والجزء الثاني الذنب فقط ، أما الجزء الثالث فهو بقية جسم الحيوان . تذكروا نريد الرأس لوحده ، والذنب لوحده من كل صورة .. الدقة مطلوبة .انهمك الجميع بعملية القص ، أما هو وزهراء ، فقد تولوا تعليق اللوح على الجدار . كانت تقول له :

- ماذا تريد أن تصنع ..؟

رد بشيء من الدعابة :

- سأشرح فلسفتي الكبرى : (الرأس والذنب .. إشكالية المكان : قراءة في التابع والمتبوع) ..!

لم تعجبها دعابته الثقيلة ، فقالت بضجر :

- ليتك أشغلت وقت هؤلاء الأطفال بشيء يفيدهم .

استمر في مزاحه قائلا :

- شيء يفيدهم ..؟ ستعرفين أهمية ما أفعل الآن ، حينما أخرج هذه (الفلسفة) في كتاب خطير يحمل نفس العنوان ، بالإضافة إلى عنوان فرعي هو : (ما بعد البنيوية والتقويضية .. احتضار الرأس وسمو الذنب) .

- الا تكف عن هذا المزاح الثقيل ..؟

- لا يا زهراء .. تخيلي احتفاء المنتديات العلمية ، والصفحات الثقافية بي وبكتابي .. سأكون مشهورا كما تحبين .. صورتي ستظهر بشكل يومي في الصحف ، إلى جانب صور جاك دريدا ، ورولان بارت ، وميشيل فوكو .. وسأدعى لحضور مؤتمرات في الخارج ..

طبعا سآخذك معي .

- قاطعته : اقول .. (عفوا يا عزيزي .. دلة القهوة على النار .. وأخشى أن

تفوح .. بعد إذنك) .

- جاهزون ..؟ سألهم .

ردوا بصوت واحد :

- جاهزون .

ضم أجزاء الصور إليه وخلطها ، ثم قال :

- سأثبت جسم الحيوان على اللوح ، ثم أختار من الأجزاء الأخرى رأسا وذنبا ، ثم نرى ما الذي يحدث .

وقع الاختيار على جسم زرافة ، واختار رأس بعير وذنبه، فألصقهما على الصورة ، مكان رأس الزرافة وذنبها .. وهنا صاح الأطفال :

- .. لا .. لا .. هذا رأس بعير ..

- والذنب ..؟ سألهم .

فترددوا ، ولم يجزموا بشيء . رفع رأس البعير ، ووضع رأس الزرافة مكانه .. فصاحوا تأييدا للوضع الصحيح . رفع راس الزرافة مرة أخرى ووضع مكانه رأس حمار ، ثم كلب .. وحيوانات أخرى عدة مرات ، وكانوا يصيحون في كل مرة ، أن الوضع غير طبيعي . أعاد رأس الزرافة ، ورفع ذنب البعير ، ووضع ذنب الزرافة مكانه .

فقال بشير ، وإخوانه بتعجب :

- أوووه .. لم يتغير شيء كثير..

وأضافت أروى :

- أعتقد أن الزرافة يمكن أن تعيش بذنب البعير ، ولن يلاحظ أحد ذلك .

قال والدها :

- هل توافقون على ما تقوله أروى ..؟

فصاحوا جميعهم تأييداً لقولها .

قال :

- ما رايكم لو نجرب غير ذنب البعير مع الزرافة ..؟

وضع اذناب عدة حيوانات مكان ذنب الزرافة ، وفي كل مرة يسألهم كان جوابهم واحداً :

- لا توجد مشكلة .

استمر يغير رؤوس الحيوانات وأذنابها ، وفي كل مرة يضع راسا بدل الرأس الحقيقي ، كان يسمع صيحات الاحتجاج واصوات الاستهجان : اووه .. لا .. لا .. ما

يصلح ، أما حينما يغير في الأذناب ، فإنه يسمع الضحكات واصوات الدعابة والسخرية .. مثل : (الذنب ما عنده مشكلة في أي مكان يكون) ، او (الذنب أحلى له يكون مع الحمار) ، وهكذا ..

بعد أن أنهى استعراض جميع الصور التي معه ، قال :

- والآن انتهى الجزء الأول من الدرس ، وبقى الجزء الثاني والأخير . الجزء الثاني عبارة عن السؤال التالي :

- ما هي النتيجة التي خرجنا بها من قيامنا بخلط أجزاء الحيوانات ؟

قالت أروى :

- أنا فهمت أن الراس لابد أن يكون راسا .. أعنى من الصعب أن نلعب بالراس ونضعه في مكان غير مكانه .

- ممتاز يا أروى .. ممتاز .

- أنا فهمت أن الذنب يمكن أن يكون في أي مكان يوضع فيه ، ولا يواجه أي مشكلة.

- ممتاز .. رائع يا بشير .. رائع .

كانت البنت الكبرى يمامة مستغرقة في ضحك ذي مغزى ، أما زوجته فقد ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيها . رفع بصره إليهما فقال ، وكأنه يؤكد انتصاره ، وهو يجمع قصاصات الصور :

- يا ويلك يا جاك دريدا ، جئتك بما وراء التقويضية .. بإشكالية الرأس والذنب . ثم انفجر ضاحكا ، ومن غير أن يشعر بدأ يدندن :

- (لا تكن رأسا .. لا تكن رأسا) ، ولم يتوقف إلا حينما دوت في أذنه صرخة بشير :

- بابا .. ما هذا ..؟

همس في سره :

- الحمد لله .. الدرس اثمر ...

الحاير

١٤١٧- ١٩٩٧

المطـــاردة ..

طرق عنيف على الباب .. استيقظ فزعا .. الطرق يشتد .. نهض مسرعا، تساءل .. و هو يلتقط قميصا يلف به جسمه ، عمّن يكون (الزائر) المتأخر في هذه الليلة المظلمة الباردة ..!

الطرق يزداد .. وقف عند الباب .. و قبل أن يفتح ألقى نظرة على الساعة الحائطية ..

- الثالثة ؟! ترى من يطرق الباب في هذه الساعة ؟! من عساه يكون ؟! .. أفتح .. لا أفتح ..!

في ثنايا الطرق الشديد كانت تتسلل إلى سمعه توسلات : " يا الله .. ليته يفتح .. سيصلون حتما !! " ..

امتدت يده بطيئة إلى القفل .. أصابعه مترددة .. الطرق زاد حدة ، و بدأ يختلط بوقع خطوات تقترب .. تضرب الأرض بعنف ، و تكاد تطغى على أصوات همهمة و كلمات .. كأنها سباب و شتم ..

بحركة غير إرادية اندفعت يده إلى القفل ليفتح الباب .. خيل إليه ساعتها أنه سمع أصوات إطلاق رصاص .

الطرق كان قد توقف حين أدار المزلاج .. و ماأن استكمل فتح الباب ، حتى أخذ الشخص ، الذي كان يقرع الباب يتهاوى إلى الداخل . نظر أسفل منه .. كانت هناك بقعة دم كبيرة ، يتصاعد منها بخار الدم الحار ، الذي سال على البلاط البارد .. وقبل ان يفيق من الصدمة ، وجد امامه ثلاثة رجال .. خاطبه أحدهم :

- أنت تعرف هذا (العميل) الخائن ؟

- لا ابدا لا اعرفه .. و لم اره من قبل !

- بل تعرفه ! .. فما الذي جعله يقصدك أنت بالذات ؟!

- لا أدري.. و لكن ما أمره ؟!

- هذا ليس من شانك ..لقد جاءنا بلاغ بأنه (يتهجم) في المسجد بعد منتصف الليل !!

- تقصد يتهجّد ؟!

- إذا أنت شريك له أيها (...) ؟!

- اقسم اني لا أعرفه .

تردد الرجل في تصديقه .. و أراد ان ينسحب ، فقال الآخر :

- يا سيدي إنه يعرفه .. الا ترى أن هناك صلة بينهم ؟

- و كيف؟

- إن القميص الذي يلبسه الرجل المطلوب ، الذي كنا نطارده ، يشبه القميص الذي يرتديه هذا الشخص !

- فعلا .. كيف لم أنتبه لهذا ..!

و قبل أن يتفوه صاحب المنزل بكلمة ، عاجله بضربة على وجهه بعقب البندقية ، وحين نهض .. و أخذ موقف الدفاع عن نفسه .. انهال عليه بوابل من نيران بندقيته .. ثم التفت إلى الرجل الآخر ، و قال له :

- اكتب في المحضرعندك :

" تمت مطاردة الشخص المشبوه الذي (يتهجم) في المسجد ، بعد منتصف الليل ، و حين حاول الفرار .. جرت تصفيته ، بعد (مقاومة) شديدة ، مع شخص آخر التجأ إليه .. و قد وجد أن هناك (علاقة) وثيقة تربط بين الاثنين.. !! " ..

الرياض

١٤٠١- ١٩٨٢

زينب.. يعصرها الأسى..!

الظلام يملأ كل شيء .. يحس به حوله ، رغم الضوء الأصفر الباهت ، الذي يتسرب من المصباح ، المثبت في سقف (الزنزانة) الضيقة ..

الباب الحديدي الثقيل ، بلونه الرمادي ، ينتصب مثل كتلة سديمية هائلة ، تسد الأفق .. عند الأفق ينتهي العالم ، ومن السديم كان (الانفجار الكبير) ، وإلى السديم يرجع أصل العالم ..

هذا هو (عالمك) الذي عدت إليه .. بأفقه .. وسديمه ..

لقد عدت إلى (أصل الأشياء) .. بل انت لم تخرج .. قط . كنت دائما في عالم (ما ورائي) .. بقيت فيه .. بـ (مثالياتك) ..

لم تقرأ (نهاية التاريخ) لفوكوياما ، ولا (الأمير) لمكيافيلي .. لا تعرف شيئا اسمه (موت الآيدولوجيا) ، ولا (البراغماتية) ..

لم تستمع لـ (تفاسير) الشيوخ و (الحكماء) ، حول الفرق بين (الجبن والحكمة) ، و (الشجاعة والتهور)..

هذا(المكان) هو (البرزخ) ، الذي تحدث عنه (الأصحاب) ومنه ، قالوا ، تبدأ خطوات الصعود نحو (الخلود) المطلق ..

هناك اللقاء .. العهد .. العهد ..

سمعها كثيرا ..

شعر بمرارة تمزق حلقه ، وهو يستعيد الأحداث ، ويؤلف بين عناصر المكان ، في معادلة (ميتافيزيقية) بائسة ..

في الغرف المكيفة .. كانت الأجفان (تتثاءب) ، على أحاديث الفداء و(التضحية) .. كاسات الشاي الساخن ، تذهب وتجيء ..

وكتاب (أيام من حياتي) ، ملقى على إحدى الوسائد ..
غلافه الذي بلي من تعاقب الأيدي .. لم يبق فيه إلا اسمها ..
زينب ..
وتنثال مواقف الصمود .. و (الرجولة) ..
وتلتقي النظرات .. تؤكد(العهد) .. على الوفاء .. بابتسامة لم تكتمل .. وإيماءة خفيفة ..
و .. سيقومون مقامي ..
الأحاديث حميمية .. كل شيء كان دافئا .. المشاعر .. الأحلام .. والوعود ..!
كل (شيء) كان دافئا ..
لوحة .. من الحماس .. والأمل .. و (دفء الأيمان) ..
كل شيء كان دافئا ..
وحدها فقط .. مكعبات الثلج ، التي تتأرجح في إبريق الماء بكسل .. كانت نشازا ..
للصمت وحشة ، لم يعرف قسوتها من قبل ..
الآن فهم ، لماذا يقال : "صمت القبور" ، للتعبير عن قسوة الصمت ووحشته . أشياء كثيرة ، يسمع عنها ويرددها ، دون أن يدرك معناها ..
- (هل علي أن أجرب كل شيء ، لأفهم معناه ..؟) .. سأل نفسه .
أصابه هذا الخاطر بقشعريرة . تذكرها وتذكرهم .. وهو يغادرهم ، هزيع ليلة من الليالي ..
تبكي ، وهي تمسك بيديه .. يحس لنشيجها الخافت دويا ، يدق أضلاعه بعنف .. لحظة ضمته وهو يودعهم ..
- أرجوك لا تبكي .. قال لها .
رأى الخوف يزدحم في عينيها ، رآه يتقلب على صفحة وجهها ، مثل مرجل قد أطفئت النار لتوها ، من تحته:
- سيقومون مقامي .. ستكونون محل الرعاية .. ستكونون في أعينهم .
قرأ اللهفة في العينين .. قرأ الوجع .. الخوف .. الوحدة .. الوحشة .. الضياع :
- أرجوك لا تبكي ، لقد أكدوا لي ذلك في أكثر من مناسبة .. أنا متأكد .. إنهم (أصحاب مبادئ) .. !
تشبثت بيديه .. العينان أصبحتا أقل وميضا .. وبقايا الأمل تغور فيهما ، كسماء سوداء تبتلع نجومها ..

دمعتان ساخنتان تطفران .. ضمة إلى الصدر، وقبلة على الجبين :

- سيقومون مقامي .. سيقومون مقامي .. وداعاً.

الظلام بلا رائحة ، والصمت بلا نفس .. وقع خطوات (السجان) الرتيبة ، تعكس الإيقاع البطيء لكل شيء هنا . الظلمة تتسلل من فتحة (الإضاءة) الوحيدة في السقف .. ووقع الخطوات ، يتردد صداها ، مثل قطرات ماء ، تهوي في لجة بئر سحيقة :

تا .. تا .. تا .. تا ..

آخر حزمة ضوء ، تنسل خارجة ، بوهن .. ولم يبق إلا الظلام ..

وصدى الخطوات ما زال يصل مترنحا ، كثيبا :

تاء .. تاء .. تاء .. تاء .

لم يعد يرى إلا عينيها .. وطعم الوحشة .. والوحدة .. والخوف ، يحسه في ريقه .. و.. يداها تمسكان به .

(هل علي أن أجرب كل شيء لأفهم معناه ..؟) ..

داخله هلع ، وهو يقلب هذا الخاطر .. (لا .. لا .. سيقومون مقامي .. سيكونون في أعينهم) .

رن .. رن .. رن ..

ما هذا ..؟ إنه ليس الصدى ، الذي كان يقرع قلبي قبل قليل ..

رن .. رن .. رن ..

أصغى :

- السلام عليكم .. (فلان) .. كيف حالكم ، والأطفال .. هل تحتاجون شيئا .. سيزورونكم الأهل غدا .. و ..؟!

رن .. رن .. رن :

- السلام عليكم .. (فلان) ..

كيف الحال هل تحتاجون شيئا ؟ سأمر الصباح لأخذ الأطفال إلى المدرسة ..

رن .. رن .. رن :

- السلام عليكم .. (فلان) .. معذرة على الاتصال في هذا الوقت المتأخر، داهمني شعور أن الصغيرة بحاجة إلى المستشفى .. سأحضر حالا ..

رن .. رن .. رن .. رن .

مازلت تمسكين بيدي .. من أين جئت .. كيف ..؟ أرجوك كفي عن البكاء .

رن .. رن .. رن ..

- الم اقل لك سيقومون مقامي . كفي عن البكاء .. لا أتحمل كل هذا ..

لم لا تتكلمين .. لا أطيق هذا الوجع في عينيك ..؟

اطلقي يدي .. دعيني أراك عيانا .. تكلمي ..

- لن ترى مني إلا هاتين العينين .. وليس فيهما إلا الوحدة ، والوحشة ، والخوف ، الذي خلفته ..!

..لأن كل ما حولي ظلام.. لن تراني ..

..لأنه ما بقى لي بعدك إلا الدمع .. لا أستطيع أن أكف عن البكاء .

لن أطلق يدك ..

لم تركتني ..؟

الم تقل ستكونون في أعينهم .. ؟

نحن كنا في عين واحدة .. عين الوحشة ، التي أترعتنا الخوف ، والعجز ، وقلة الحيلة .

لم تركتني أسري في الغسق .. أصحب بناتك إلى المدارس ، ساعية على قدمي، وقلبي يضطرب خوفا عليهن..؟

لم تركتني ألهث في الهواجر .. أتبضع اللقيمات لأطفالك ، وأعود متعثرة ، بما أنوء به من حمل..؟

لم تركتني أكابد الليالي ، عاجزة كليلة ، أقلب طفلتك التي طرحتها الحمى ..؟

لم تركتني ، أنا التي أستحي أن أحدث والدك ، أقف على الطرقات ، أوقف سيارات الأجرة ، أقضي حاجات أطفالك ، أسفح حيائي ، وتنهشني نظرات الذئاب ..!

لمن تركتني ..؟

اتلقى مواعظ (الأولياء) حول جدلية (الخلوة والمحرم) ..؟

لمن تركتني ..؟

لم تركتني لضعفي وعجزي .. ؟

لم تركتني .. لم تركتني ..؟

- اطلقي يدي ارجوك .. كفي عن البكاء .. أريد أن أراك ..

الظلام يقتلني .. يخنقني ..

رن .. رن .. رن .. رن ..

سيقومون مقامي ..

لم تركتني .. سيقومون مقامي ..؟!

رن .. رن .. رن ..

لم تركتني .. سيقومون ..؟

لم تركتني .. سيقو ..؟

لم تركتني .. لم تركت .. ني ..؟

تا .. تا .. تا .. تا .. تا

- يا نايم .. يا نايم .. يا سجين كم (رقمك) ..؟

- هاه .. رقمي ..

و ..

ام رأة .. و ح ي د ة

خذلها الرفاق..

(أيام من حياتي) .. مازال على الوسادة ..

و (زينب) يعصرها الأسى ..

الحاير

١٩٩٨-١٤١٨

حديث الشيخ

كان يداوم على حضور درس الشيخ عبدالهادي في مسجد (الحكمة) ، وحينما يعود إلى البيت ، بعد الدرس ، يسأله أهله عن الدرس ، فيرد بشيء من الانفعال :

- هل الدرس طبق من الأكل ، أو قطعة ملابس ، حتى أعطيكم رايي فيه ؟!

إنه يرى كل الحضور يهزون رؤوسهم أثناء إلقاء الشيخ لدرسه ، وبعد خروجهم من المسجد يتحدثون في مواضيع لا علاقة لها بالدرس مطلقاً . يذكر مرة أنه أراد مناقشة بعض من يحضر من الأصحاب ، فيما تحدث عنه الشيخ ، فوجد نفوراً ، ثم مال عليه أحدهم وهمس في أذنه :

- من (الحكمة) ألا تناقش ما يقوله الشيخ ، إن الشيخ عبدالهادي يكره أن يؤول كلامه .. فهو حينما يقول إن التليفزيون حرام ، لا يريد أن تذهب بأحد الظنون ، فيعتقد أنه يتهم مدير التليفزيون ، أو السياسة التي تقوم عليها برامج التليفزيون ، أو حتى برامج التليفزيون نفسها . إن الشيخ عبدالهادي يؤثر (الحكمة) في قوله وعمله ، ولذا.. فهو يكره (المواجهة) ، ويكره كذلك أن يواجه أحداً بخطئه .. !

تلاميذ الشيخ عبدالهادي كلهم على هذه الشاكلة . مرة حضر لأحدهم خاطرة القاها بعد الصلاة ، في مسجد أحد الأحياء الفقيرة . كان موضوع خاطرته عن " أولئك الذين يأتون إلى المسجد بثياب ممزقة وغير نظيفة " ، واشتد في تأنيبه لهم ، مردداً قوله تعالى : ﴿ يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ .

بعد الخاطرة راى ان يناقشه فيما تحدث عنه .. فقال له :

- كيف تطالب هؤلاء الفقراء المعدمين بثياب نظيفة .. ؟ ألم يكن من الأولى ان تحدثهم عن العدالة الاجتماعية في الإسلام ، حتى تعزيهم على الحال التي هم فيها ؟!

فرد عليه مستنكراً :

- كأني أشم في كلامك طروحات الاشتراكيين ، أو بعض أفكار سيد قطب ، وبالمناسبة فالشيخ عبدالهادي لا يرى أن من (الحكمة) الترويج لمثل هذه الأفكار .

في إحدى المرات رأى وجهاً غير مألوف ، يحضر درس الشيخ لأول مرة .. لقد بات يعرف كل الذين يحضرون الدرس . بعد أن أنهى الشيخ حديثه ، وهمَّ الجميع بالانصراف ، تكلم الشخص الغريب فجأة .. على غير عادة الحضور ، فقال :

- يا شيخ ، أنت تحدثت فقلت : " من (الحكمة) الاّ تفعل كذا ، ومن (الحكمة) أن تفعل كذا ، ثم ذكرت حديث الأعرابي .. الذي دخل وبال في المسجد .. وأذكر أنك تكلمت بهذا الحديث قبل سنتين ، وها أنذا أحضر درسك الآن ، ومازلت لم تبرح حديث بول الأعرابي . يا شيخ ، لقد حضرت درس الشيخ عبدالرحمن في مسجد (الحزم) قبل أسبوعين ، فذكر حديث "سيد الشهداء حمزة" ، وحضرت درسه الأسبوع الماضي ، وكان موضوعه "الأمة في ظل النظام العالمي الجديد" ، وموضوع درسه اليوم "العلماء السلاطين .. العز بن عبد السلام أنموذجا " .

دارت عيون الحاضرين ، واشرأبت أعناقهم إلى هذا الواقف يجادل الشيخ . بعد هول المفاجأة التي عقدت ألسنتهم، بادره أحدهم :

- ليس من (الحكمة) أن تخاطب الشيخ بهذه الطريقة ..

فأجاب الشاب :

- وهل من (الحكمة) أن يخدركم بهذا الكلام منذ أكثر من خمس سنوات .. ؟

قالها ، ثم استدار منصرفاً .

حدثت حالة من الهرج ، وتعالت الأصوات ، منها ما يستنكر التصرف ، ومنها ما يتساءل ، أما هو فقد انسحب بهدوء ، وخرج من المسجد ولحق بالشاب واستوقفه.. ثم سأله :

- أنا أعجب من أمرك ، كيف قدرت أن تجادل الشيخ ؟ لقد أخبروني أن من (الحكمة) الا أسأله ، وحينما سألت بعضهم عن رأيه في الدرس ، قال لي إن الدرس ليس أكلاً أو ملبساً حتى يكون لنا رأي فيه .. ثم أريد أن أسألك : من هو الشيخ عبدالرحمن الذي تحدثت عنه ؟ وأين مسجده .. ؟

قال الشاب :

- هل تود أن تحضر درسه .. ؟

فرد بالإيجاب ..

في الأسبوع التالي كان في مسجد (الحزم) يستمع للشيخ عبدالرحمن الذي

كان يتحدث عن "دور الشباب في الدعوة إلى الله" . كان الشيخ عبدالرحمن يقول : " إن المجتمع مهدد وجوده بالفساد ، لقد غدا حال الناس ، والفساد يحاصرهم من كل جانب، كحال قوم حشروا حشراً في نفق مظلم فهم يتخبطون ، يحتاجون دليلاً يقودهم إلى خارج النفق ، والدليل يحتاج شعلة تهديه في هذا الظلام ، إن الشاب الملتزم هو الدليل ، وإن الدعوة هي الشعلة ، لكن الدعوة أمرها خطير .. ومن ضروراتها الامتحان والابتلاء ، ومن لوازمها صنوف من البلاء كثيرة ، أحدها الموت أو السجن أو الاضطهاد ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ .

إن الفساد الذي يعصف بالمجتمع أضعاف الظلمة التي تلف النفق ، وإن دون الشعلة لهباً مضطرماً ، لا يصل إليها إلا أولو العزيمة الصادقة ، كما أنه لا يصبر على بلاء الدعوة إلا أصحاب الهمم العالية ، الذين يستلهمون الدرس من معلمهم الأول محمد - صلى الله عليه وسلم - : " والله يا عم لا أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه " .

أخذت كلمات الشيخ عبدالرحمن بلبه ، وطفق يحدث نفسه : هذا ما كنت أبحث عنه ، لكن الشيخ حيرني حينما قال :" خذ الشعلة لتقود الناس ، أي أقبل أن تحمل همّ الدعوة ، ثم يعود فيقول إن دون الشعلة لهباً مضطرماً ، والدعوة محفوفة بالابتلاء " .

بعد نهاية الدرس ذهب إلى الشيخ وسلم عليه بحرارة ، ثم طرح عليه تساؤلاته وحيرته ، مال عليه الشيخ وقال :

- خذ الشعلة .. واحذر اللهب ..

ثم أضاف ، وهو يبتسم :

- أراك ثانية ..

الرياض

١٤١٥-١٩٩٤

خرج و لم يعد ..!

دخل الخطيب المسجد يمشي ببطء ، كأنما يجر خطواته جرا . أصوات قراءة القرآن ، التي يضج بها المسجد .. بدأت بالخفوت . ما إن اعتلى المنبر حتى كانت الأصوات قد تلاشت .

فترة الآذان كانت فرصة لأن يتأمل في وجوه الحاضرين . أخذ ينقل طرفه في زوايا المسجد .. يرى الوجوم على الوجوه ، و يرى علامات التبرم .. بل يرى حتى النائمين !! و حفظ كذلك ، وجوه أولئك الذين يلازمون حضور خطبته ، ويتخذون مواقع ثابتة في المسجد! يعرفهم تماما و يعرف (الغرض) الذي جاءوا من أجله ..!!

لكن ماذا يفعل لهؤلاء الذين يُبدُون الضيق من رتابة الخطبة ، خصوصا الشباب منهم . إنه لا يملك أن يفعل أكثر من هذا . يريدونه أن يثور ساخطا على (النظام) ، و يلقي بحمم كلماته على رموزه (!!) .. و لكن هل ينتهي الأمر بهذا ؟!

إن (الحمم) التي يريده هؤلاء أن يلقيها، لتزعزع أركان النظام ، كما يقولون ، يود أن يلقيها ، و لكن ليس للغرض الذي يقصدونه ، بل ليفجر العفن ، و الوهن ، و الانهزام داخل النفوس ، التي قبلت بهذا الوضع المهين !!

إن الثورة على الخور والعبودية لغير الواحد الأحد ، داخل النفوس ، يجب أن تسبق الثورة على النظام ، وهو ما يريده هؤلاء المُستَعْبَدين داخليا .

كل هذه الأفكار طافت براسه ، و هو يتأمل الحاضرين ، و يحاول أن يقرأ في ملامح كل شخص وقعت عيناه عليه ، خبايا ما يدور في فكره . لم يقطع حبل تفكيره إلا قيام المؤذن بتقريب مكبر الصوت إليه ليبدأ الخطبة .

كان قد قرر شيئا في دخيلة نفسه ، رحمةً بالشباب الغض ، الذي يراه يتقاطر على المسجد ، و كله رغبة في أن يسمع كلمة رفض .. للانحراف و الفساد ، الذي

يدفع إليه المجتمع دفعا .. باسم التحديث و التقدم .. أو إدانة .. لانتهاك حقوقه وسرقة أمواله و خيراته ، أو حتى .. لو عبارة احتجاج ، على الواقع المزري الذي ارتكست فيه الأمة .. لعلها تمنحه بعض العزاء لكبريائه الجريحة .

استهل الخطبة بالحديث عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و مكانته في المجتمع المسلم ، و استرسل في الخطبة مستشهدا بالحديث النبوي : " من رأى منكم منكرا فليغيره .." . كان صوته يعلو حينا و يخفت آناً آخر .. و استغرق في حالة من التفاعل مع الحديث الشريف ، لم يشعر خلالها بأي شيء آخر ، سوى حركات التحفز التي بدأت تظهر على المصلين ، و الشباب منهم خاصة ..!

في نهاية الخطبة لم يدر ماذا قال بالضبط .. لكنه واثق من أنه قد تجاوز الخطوط العريضة للخطبة ، التي دونها على ورقة صغيرة يحملها بيده .

كان هناك تقريران قد كتبا عن الخطبة .. الأول يقول:

"الخطيب يحرض على العصيان المسلح " !!

أما التقرير الثاني فيؤكد صاحبه على أن :

" الخطيب يدعو إلى الإطاحة بالنظام عن طريق (انقلاب) " !!

إضافة إلى ملاحظات سجلها (أحدهم) .. أشار فيها إلى أن " الخطيب يصف أعمال الحكومة بالمنكر ".. !

كان على وشك أن يهجع إلى النوم .. بعد أن صلى الوتر ، حينما بدأ طرق عنيف ينهال على باب البيت . ارتدى ثوبه ثم توجه نحو الباب .. و نادى :

- من هناك ؟!

- افتح .. افتح ..!

- من أنت ؟!

- افتح .. و إلا اضطررنا لدخول البيت بالقوة .. !

- !!!!!

فتح الباب فاندفع الطارق إلى داخل البيت و معه ثلاثة رجال .. قال مخاطبا إياه :

- النقيب عوض من المباحث .. سنفتش البيت ..

- الآن ..؟! إن أهلي و أطفالي نائمون ..!

- لا بأس نفتش البيت ثم يعودون للنوم ثانية ..!

أشار للرجال الذين معه بأن يبدأوا التفتيش ..

- لحظة لو سمحت لأخبر أهلي ..

بعد أن انتهى التفتيش .. دون نتيجة ، قال له :

- تعال معنا ..

- إلى أين .. و لماذا ؟

أجاب و هو يدفعه أمامه :

- ستعرف فيما بعد .. !

وضع القيد في يديه و أركب شاحنة نقل بضائع صغيرة ، لا نوافذ لها ، سوى فتحات صغيرة ينفذ منها الهواء . بعد مسيرة نصف ساعة توقفت السيارة ، فصعد أحدهم إليه وعصب عينيه ، ثم اقتاده إلى داخل أحد المباني . أحس انه صعد درجاً ، وسار في أكثر من ممر ، مرّة ذات اليمين و أخرى ذات الشمال ، و أخيرا أدخل إحدى الغرف ، و رفعت العصابة عن عينيه .. لم ير شيئا لأن الغرفة كانت مظلمة . قبل أن يخرج الجندي ، و يغلق الباب وراءه ، أدار مفتاح الضوء الذي كان باهتا ، لدرجة انه لا يكاد يصل إلى أطراف الغرفة .. رغم صغرها .

تبين في الغرفة فراشا قديما ممدودا .. و طاولة و كرسياً من البلاستيك . تمنى لو أن الجندي لم يشعل هذا النور، لأنه كان من الضعف بحيث يرسم تظليلا للأشياء الموجودة في الغرفة ، بشكل يبعث على الوحشة .. فهاهو يرى ظله و كأنه عمود مشنقة ، تمثل لحيته الكثة حبلها ، و بدا له ظل الطاولة ، وهو يقف خلفها ، و كأنها منصة المشنقة ..!

تساءل .. و قد أحس بكآبة تنوء بكلكلها على صدره : هل هذا جزء من برنامج الليلة ؟!

استمر على هذا الحال ثلاث ليال .. لا يكلمه أحد ، و لا يرى أحداً ، سوى جندي يفتح الباب ، و يضع له طعاما دون أن يتكلم .

ظلت الأفكار .. و الخيالات السيئة تعاوده ، و في الليلة الرابعة .. أفاق من تخيلاته على صوت الباب يفتح ، فالتفت .. فإذا بنور الغرفة الباهت يتسرب إلى الممر عبر فتحة الباب.

قال يحدث نفسه ، و يكتم آهة تكاد تفجر صدره : " يا رب حتى هذا النور الباهت لم يطق وحشة الغرفة ففر إلى الممر .. وما عسى أن يجد في الممر ، أو في ما بعد الممر ؟! " ..

دخل الشخص و لم يستطع ان يتبين وجهه ، و لكن عرف أنه ضابط ، حينما وقعت حزمة من الضوء على كتفه ، فلمعت النجمة النحاسية التي تعلوه .. سحب الكرسي فكان له صرير خيل إليه ، و هو ينبعث من وسط الظلام ممزقا السكون ،

وكانه نحيب امراة ثكلى . جلس الضابط على الكـ[illegible] مستظهرا النور ، وواضعاً يديه على الطاولة . بعد فترة من الصمت المخيف ، لم يسمع فيها إلا انفاسه المتلاحقة ، سأله الضابط :

- أين تتدرب على السلاح ، ومن هم شركاؤك في الانقلاب ؟

- اي سلاح ، واي انقلاب ؟

- لا تماطل نحن نعرف عنك كل شيء .. و كنا نرصد تحركاتك جميعها !!

- ماذا لدي حتى تعرفوه .. و ما هي تحركاتي ؟!

- الإنكار لا يفيدك .. بل يؤخر تنفيذ (الحكم) ضدك ..!

- انا لا اعرف شيئا مما تقول .. !

- نحن نعرف يا .. (فضيلة الشيخ) .. تحرض الشباب على العصيان المسلح ، وتدعوهم للمشاركة في (الانقلاب) الذي تخطط له ..!

- من قال هذا الكلام ..؟!

- أنت قلته .. هل نسيت بهذه السرعة ؟! أم أن ذاكرتك ضعيفة إلى حد أنك لا تتذكر خطبتك قبل يومين ..؟!

- . . . .

- من رأى (منكرا) فليغيره بيده .. أو (فبقلبه) !! هاه ..؟

- هذا ليس كلامي .. إنه حديث من أحا ...

- هذا ما نريده منك .. الشخص الذي تحدث بهذا ، أن تدلنا على صاحب هذا الكلام .. نعرف أنه مغرر بك .. نريد الرأس المدبر ..

- يا رجل هذا (حديث) من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم ماذا عساك تفهم من الحديث أكثر مما دل عليه؟!

- هكذا إذن ، تُجَهِلنا بالدين .. أنت المسلم فقط .. أما الحكومة التي جعلت الإسلام مصدر رئيسي من مصادر التشريع ، هي برأيك ليست إسلامية .. !

- أنا لم أقل هذا .. !

- و تنكر أيضا .. لدينا تسجيل لخطبتك ، التي تصف فيها سياسة الحكومة بالمنكر ، و تحرض الشباب على الاعتراض عليها بالعصيان المسلح ..!

- هذا لم يحصل قط .. و انا حينما استشهدت بالحديث الشريف لم أعن شيئا مما تقول ..

- حينما بدات تصرخ بجمهور المصلين ، و تقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده .. وترفع يديك امامهم ، كما لو كنت تحمل بندقية .. ! هل هذا حديث أم

دعوة للعصيان المسلح .. تحرض فيها الشباب المخدوع بشعاراتكم الدينية ..؟!

- ولكن ..!

- هل تظن عناصرنا من الغباء بحيث لا يعرفون (شفرتك) السرية هذه ..؟

- أقسم أن هذا لم يحصل .. قد تكون عناصركم فهمت حركاتي خطأ ، و من هنا حصل سوء الفهم ..!

- لو سلمنا معك جدلا .. بأنك لا تقصد بالمنكر السياسة الحكيمة للدولة ، وأن التغيير باليد لا تقصد به التحريض على العصيان المسلح ، فماذا تقول عن دعوتك الصريحة (للانقلاب) على الدولة و تغيير نظام الحكم ؟!

- أنا ..؟!

- لا تعد للمماطلة .. كنت تصرخ : فليغيره بيده ، فإن لم يستطع (فبقلبه) ، وظللت تكررها ثلاث مرات : فبقلبه .. فبقلبه .. فبقلبه .. لقد مضى عهد الانقلابات يا معتوه ..!

قال الضابط عبارته هذه .. و نهض و أغلق الباب خلفه بعنف .. مزق السكون الذي يخيم على المكان . أخذ الصوت الذي أحدثه إغلاق الباب يتردد .. فخيل إليه كأنما يكرر جملة الضابط الأخيرة : " مضى عهد الانقلابات .. مضى عهد الانقلابات .." ..! رغم المرارة التي يشعر بها ، إلا أنه لم يتمالك نفسه أن انفجر ضاحكا على (الذكاء) الخارق الذي يتمتع به الضابط .. و جواسيسه الذين كتبوا له التقارير!!

في الصباح كان خبر مداهمة بيت الخطيب ، و اعتقاله قد انتشر في الحي .. ووصل إلى كل بيت في المنطقة .. قالوا :

- يستأهل ..! لماذا يحشر نفسه في أمور لا شأن له بها..!!!

في الجمعة التالية ذهب الناس إلى المسجد ليروا الخطيب الجديد ، الذي أخذ يكرر لهم ما كان الخطيب الأول يردده قديما .. نفس الكلام ، و نفس المواضيع الرتيبة . بدأ الملل يسري إلى نفوس الحاضرين ، و أخذوا بالتبرم ، و لكن الخطيب ظل يكرر ما يقوله في كل جمعة ، رغم تناقص المصلين ، و نوم معظم الباقين ، لأن الخطيب الأول .. (خرج و لم يعد)..

ستانفورد - الولايات المتحدة

١٤٠٥- ١٩٨٥

حدث في السوق..!

في سوق مزدحم ، وقف رجل (الهيئة) وزميله يتأملان شاباً يسير جيئة وذهابا. كان الشاب يتوقف بين وقت وآخر، ليعيد ترتيب هندامه ، ثم يتلفت محدقا بالنساء المتسوقات ، قبل أن يعود للدوران.

- أنا أشك في سلوكه .. دعنا نوقفه .

- انتظر قليلاً .. فقد نكون مخطئين ، ربما له غرض ، أو ينتظر أحداً ..!

- مخطئين .. ؟! بصراحة أنا ظني لا يخيب في هذا الصنف من الناس .. حليق .. والثوب طويل .. والدخان .. والنظارات الشمسية ..

- هذه ليست أدلة إدانة ..

- لكنها مؤشرات ..

- الهدوء أفضل ..

ذهبا باتجاهه ، واقتربا منه ..

- السلام عليكم ..

- وعليكم السلام ..

تأملهما الشاب وهما يتجاوزانه مبتعدين ، ثم أخرج الهاتف الجوال وتصنع النظر إليه حينما التفت أحدهما نحوه.

- تسلم عليه .. ؟!

- وما المانع .. اليس هذا هو الهدي النبوي ؟

- إنك بهذا التصرف تشعره بالطمأنينة .

- اليس هذا هو المطلوب ؟

- أنا لا افهم لماذا تتصرف بهذه الطريقة ..

- .. ..

- انظر .. لقد رمى بورقة على مجموعة من النساء .. دعنا نمسك به قبل ان يذهب.

اتجها إلى حيث القى الورقة.. اختفى الشاب في الزحام ، التقط احدهما الورقة ، كانت تحمل رقم هاتف .

- ألم أقل لك إن تصرفه مريب .. دعنا نلحق به .

- لا بأس .. هات الورقة .

أسرعا في أثره ، ولكنهما لم يعثرا عليه.. بحثا عنه ، وبعد مدة وجداه في مكان آخر من السوق . رآهما فارتبك ، وأراد أن يتفاداهما .. فلحق به أحدهما ، وأمسك به ..

- ما اسمك .. وماذا تفعل هنا ؟

- من أنت ؟

- هذا ليس من شأنك .. ماذا تريد ..؟

- بل من شأني .

- أنا من رجال الهيئة..

- مطوّع يعني .. ؟

- مطوّع أو غير مطوّع .. يا فاضي .. يا قليل الأدب .

تجمهر الناس .. وارتفع الجدال والشجار بين الاثنين ، وتعالت أصوات الناس بين مؤيد للشاب : (حرام عليكم .. اتركوا الناس وشأنهم) ، وبين حامل عليه: (جزاكم الله خير .. يا جماعة نظفوا البلد من ها العينات التعبانة..) .

وصل الشخص الثاني .. تدخّل .. أخذ عقال الشاب ، الذي كان قد وقع على الأرض ، ووضعه على رأسه ، وأمسك بيده بهدوء ..

- السلام عليكم يا أخي الكريم ..

- وعليكم السلام .. نعم .. ؟!

- أبداً .. سقطت هذه الورقة منك في الممر الآخر ، ويبدو أنها تحمل معلومات تهمك ، فحرصت أن الحق بك وأعطيك إياها ..

- ....!!

طالع الشاب في الشخص الذي أمامه مستغرباً ، ونقل نظراته بينه وبين الشخص الآخر ، الذي اشتبك معه ، غير مصدق ما يجري . ظل الشخص ممسكا بيد الشاب بهدوء ، وهو يسير به بعيداً عن الناس ، ويتهامسان ، حتى وصل إلى

سيارة كانت واقفة خارج السوق ، فتحها الشاب وركبها .. دار بينهما حوار قصير قبل أن تتحرك السيارة وينصرف الشاب وعلى وجهه ابتسامة .

بعد يومين .. في مجلس مزدحم بعشرات الضيوف.. الأحاديث الجانبية كانت تنبعث من كل مكان . تكلم أحد الحضور طالباً توحيد وجهة الحديث ، والإنصات إلى أحد الضيوف الذي يريد أن يقول شيئاً ..

- يا إخوان أريد أن أحدثكم عن حادثة شاهدتها بنفسي .. أو لأكون صادقاً معكم ، شاهدها إنسان عزيز أثق به جداً !

ردد الحضور بصوت واحد :

- تفضل .. تفضل ..

قبل أسبوعين في أسواق (....) ، وأمام الناس كلهم ، هجم اثنان من رجال الهيئات ، هؤلاء الـ (......) على أحد الأشخاص ، وكان برفقته امرأة وطالبوه أن يثبت صلته بها ، ولما أخبرهم أنها أخته ، أوسعوه ضرباً حتى أغمي عليه.. واضطرت المرأة التي كانت معه أن تستغيث بالناس ، وهي تصرخ وتقول .. « لقد قتلوا أخي » .

- وماذا حدث بعد ذلك ؟!

- لا أدري .. لأن الذي روى لي القصة ، قال إنه لم يحتمل أن يرى بقية المشهد ، خصوصاً وأن أحد الشخصين أمطر المرأة بسيل من الشتائم ، واتهمها في عرضها ..!

علق أحد الحضور:

- إذا كانت الحادثة هي نفسها ، التي وقعت أمام (أزياء الشرق) في أسواق (.....) ، فإن أولئك (الوحوش) طلبوا من الشاب أن يثبت لهم أن المرأة التي بصحبته هي زوجته .

- يا أخي هذا شيء بشع .. لماذا لا يوقف هؤلاء الـ (....) عند حدهم ؟! هل تصدق أنهم طالبوه بصك الزواج ؟!..

- إذن بهذه الطريقة علينا أن نحمل صكوك الزواج ، ودفتر العائلة ، وشهادة من العمدة والإمارة ، لنثبت أن من يسير معنا هم أبناؤنا وزوجاتنا وأخواتنا .

- صدقت ..! يا أخي لقد كان مشهداً لا ينسى حينما وضع أحدهم قدمه على وجه الشاب ، وقال له : " أين لحيتك يا فاسق " .. أو " يا كافر " على ما أظن .. !

.. وفجأة انطلق صوت من بين الحضور، الذين كان بعضهم يتسابق في إيراد القصص و(الحوادث) التي مرت به ، أو بصديق له ، أو بإحدى قريباته :

- يا أخوان أين حـدث كل هذا الذي تقـولون .. ؟! هي فيلم سينمائي.. أو في خيالكم ؟!.. أنا الذي كنت في السوق .. وأنا الذي حدث لي ذلك الموقف مع رجال الهـيـئـة .. يا إخـوان الذي تقـولونه هذا غـيـر صـحـيـح .. ولا يجـوز .. والذي (حدثكم) غير صادق .. لم تسل دماء ، ولم تصرخ امرأة ، بل لم يكن في الموضوع كله نسـاء.. أو صكوك زواج . الأمـر كله لا يحـتـمل كل هذه (الرواية) ، بفصولها المأساوية..!!

سوء فهم حدث ، وتمت تسوية الأمر بطريقة ودية ..!

الرياض

١٤١٤- ١٩٩٤

مثقف وطني

تحدر من أسرة محافظة ، و تلقى تعليما معظمه تقليدي . بالرغم من أنه لم ينتم (حركيا) لتيار بعينه ، فقد كان حريصا أن يصنف ، بناء على التقسيمات الحركية ، على أنه منتم (فكريا) .

التصنيف الأيديولوجي لم يكن يوائم طبيعة شخصيته ، و فشل بالتالي ، في أن يتقمص (دورا) فكريا محددا . البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها ، جعلت تصنيفه يقع ضمن ما يسمى بـ (الوطنيين المحافظين) ، ففقد بذلك أي ميزة (قيادية) ، من نوع تلك التي تمنحها التيارات الفكرية ، للمحسوبين عليها .. و هو ما يتطلع إليه بحنين جارف .

في نقاش عارض بين بعض الزملاء ، طرق سمعه هذا الجزء من الحوار :

- لكي تصنف فكريا ، و سياسيا ، إما أن تكون إسلاميا ، أو تكون قوميا ..

- " إسلامي ..؟ " حدث نفسه .. " لا يناسبني هذا الدور " .

يتابع الزميل .. في حواره مع زميلهم الآخر :

- لا يجدي أن تكون قوميا عربيا الآن ، لأن القومية العربية أصبحت (شيئا) قديما ، في زمن الانشطار والتشظي . لقد تأخرنا كثيرا يا صاحبي (..) ، كان يمكن التحدث عن شيء من هذا ، قبل مغامرة صدام في الكويت .

أن تكون قوميا أمر متعب ، مثلما أن تكون إسلاميا ، لأنك لا بد أن تكون منتميا . و الانتماء له تبعات . أهونها أنك ستدخل في معادلة : " معي أو ضدي " ، أو شقها الآخر : " من ليس معي فهو ضدي " .

إذا كنت منتميا ، فلا بد أن تكون صاحب موقف ، و تتبنى قضايا المبدأية . والقضايا المبدأية يصعب التراجع عنها دون ثمن باهض .

.. ارايت يا صاحبي ..؟ التصنيف الفكري ، و الانتماء الفكري ، وجهان لعملة واحدة ، و لهما ثمن أيضا .. هما ليسا طريقاً ممتعة ، أو حتى سهلة ، لتحقيق الطموحات الشخصية (..)

وجد نفسه لا شعوريا (يقتحم) الحوار الثنائي بين الزميلين :

- إذا كان الانتماء .. و بالتالي التصنيف ، إسلاميا ، أوقوميا ليس مشجعا .. ما الحل .. أليس هناك طريق ثالث ..؟

جلجلت ضحكة أطلقها زميله ، فقال وهو يستدير تجاهه :

- بلى هناك طريق ثالث .. كن (مثقفا ليبراليا) . كن ليبراليا ، و لن تكون مسؤولا عما تقول أو تفعل . تستطيع ان تخوض في كل شيء . تستطيع أن تتكلم عن (الذات الإلهية) ، مثلما تجادل في (أسهم) شركة الكهرباء .. دون تبعات . لأنك ببساطة تستطيع أن تقول ، عند أي مسألة :

" أنا لا أقصد .. (هناك من يقرأني بطريقة خاطئة)..! " .

.. ولأنه ليس لديك قضايا مبدأية ، فبالتالي ليس لديك شيء لا تستطيع التنازل عنه . و حينها ، لن يقول الناس عنك أنك بلا مبدأ ، أو(مجدف) ، أو حتى ملحد .. بل سيقال أنك (براغماتي) .. مثقف عالمي الرؤية .. واقعي .. مبدع ، يسكنك هم الحرية .

أرايت .. المسألة محلولة ..؟

ليس هذا فحسب ، بل أمامك (أجندة) طويلة ، لتصول فيها و تجول .. من خصخصة القطاع العام ، إلى حقوق المراة .. بل يمكن أن يكون لك رأي حتى في المسائل (الدينية) . فقط .. قل :

" لا أحد يملك حق احتكار الدين " ..!

لو اخذت حقوق المراة مثلا ، سيكون لديك قائمة طويلة من القضايا ، وجيشا من المؤيدين .. في مقدمتهم (الجنرال) نوال السعداوي..

آه يا (بو عابد) لوكان لدي مؤهلاتك ، و اسمك الأكاديمي اللامع ، لأصبحت (مثقفا) يشار إليه بالبنان ، و لأعلنت اني (مفكر) كبير ، و لجعلت من نفسي زعيما لتحرير المراة .. و دعوت لتحريرها من اغلال التقاليد ، و التفسيرات (الدينية) المتطرفة .. و ناديتُ بأعلى صوتي :

- " انتهى زمن الرق و العبودية .. إن افكار القرون الوسطى ، لا تليق بمجتمع يقف على مشارف الألفية الثالثة " .

.. كن ليبراليا وطنيا (..) و احمل الراية ، اصرخ :

- الثقافة في خطر .. يخنقها (الظلاميون) ..

المرأة في خطر .. تنتهك حقوقها ، يهمش دورها ، تعطل طاقتها الإنتاجية ، يضطهدها (المتطرفون) ، يحاصرها (المحافظون) ، تقمعها (السلطة) ..!

- لكني ..؟

- أعرف .. ستقول أنك لست مقتنعا بهذه المسائل ، و أن نظرتك إلى المرأة (جنسية) ، و أن أسرتك لها تاريخ (جيد) في احتقار المرأة ..!

.. لا يهم يا عزيزي .. كلنا ذلك الرجل .. الشباب كلهم كذلك . (ربعنا) الذين تعرفهم ، أشرسهم في تبني مسائل (الحريات) ، و قضايا المرأة .. (لابد انك عرفته الآن) ، إذا تسمرت عيناه على فتيات (الفضائيات) قال :

هذولي هن الحريم ، ما هيب (الكربة اللي عندي) ..!

.. صاحبنا هذا ، كتب الأسبوع الماضي مقالا (رائعا) .. كان عنوانه :

" أي امرأة نريد ..؟ معضلة العقل و الجسد ..!"

.. تكلم في مقاله ذاك عن المرأة ، من حيث هي عقل و روح ، يتسامى على الحس و الجسد ، و أشار إلى الذين (يحاصرون) الجسد ، و يحاولون (تكميمه) بالحجب السوداء – على حد قوله – قد رهنوا أنفسهم في دائرة الحس ، و توقفوا عند المرئي و المشاهد ، دون أن يغوصوا .. من خلاله ، إلى ما يمكن أن يطلقه ذلك (المحسوس) من طاقات خلاقة ، و ما يشيعه من معاني الجمال .

تطرق أيضا في مقاله الجريء ، إلى أن (اعتقال) الجسد ، اعتقال للإبداع ، وتغييب لمصادر الإلهام .. ثم خلص إلى ما سماه (وحدة الحرية) . و مفادها ، أن الحرية ، هي أس الخلق و التكوين و الإبداع .. و أنها لا تتجزأ . فليس فيها حقيقة ومجاز ، كما أنه لا جنس لها ، و إطلاقها شرط لبلوغ الجسد .. (المحسوس) ، أعلى مراتبه ، ليلتقي بالروح في افق سديمي ، يتعانق فيه الزمان و المكان ، بمعزل عن كل ماهو (مقدس) ، في لحظة .. هي : جوهر التكوين ، والإبداع .. و تخلق الحرية..

- ما هذا الكلام ..؟ أنا لم أفهم شيئا ..!

- و لا أنا .. و لا أظنه هو ..! إنه باختصار ، يقدم نفسه نصيرا للمرأة ، العقل والروح .. و عينه على الجسد ، أو ما يسميه هو : إشكالية المرأة ، من خلال مفهوم الحرية و الإبداع .

- لكن هذا الكلام خطير ، فيه تعريض بالمقدسات ، و قد يعرضه للمساءلة . إنه لا يصادم الإسلاميين ، والمتدينين فقط ، إنه يواجه التيار المحافظ بأكمله ..!

- الم أقل لك أن لديه (أحجيته) السحرية.. سيقول :

" هناك من يقراني خطأً (..) .. هناك من يتعامل ، بسوء نية ، مع الإبداع ، و (النص الأدبي) ، كما لو أنه (نص ديني) .. بهدف الحجر على حق الناس في (التفكير) ..!

.. إن (المقدس) يبقى مقدسا فقط ، حينما يظل في دائرة (اللاهوت) . أما عندما ينتقل إلى دائرة (الناسوت) فقد انتفت عنه قدسيته ..!

.. إننا قد نتفق مع أولئك (المتزمتين) ، الذين يقولون لا تتحدثوا عن (الإله) من حيث هو (كينونة) .. ذات مستقلة ..

لكن (فعل) الإله ، و علاقته بالناس ، ليس (مقدسا) ..! لأن هذا هو مجال الإبداع ، و الخلق و التكوين لدى المبدع .. الذي يعيد (خلق) الأفعال برؤى جديدة ، لا علاقة لها بالسماء ، بعد أن نزلت إلى الأرض ، و امتزجت بطبيعة الناس الأرضية. "

- لكن هذه هرطقة .. و كفر ، قد تقوده للمساءلة ..!

- لا تكن ساذجا يا صديقي ..!

.. لا تنس ، أنه يقدم نفسه على أنه مثقف ليبرالي (وطني) .. حر . سيقول ، لو سئل :

" هناك حكم مسبق علي ، بسبب موقفي (الفكري) .. كمثقف وطني (غير مسيَّس) ، يقف ضد التنظيمات و الأحزاب الدينية ، التي تريد فرض رؤيتها الخاصة للدين .. و إرهاب الناس . هناك من يتعمد قراءتي بطريقة خاطئة..!

الغلاة ، و المتطرفون ، و الإرهابيون .. و (المكفراتية) يحاصرون الإبداع " ..!

- هذا دور صعب ، لا أستطيع أن أنزلق إلى هذا الحد ..!

- أي (انزلاق) يا عزيزي ..؟ أنت مفكر .. أنت (مبدع) ، و الإبداع يجوز فيه مالا يجوز في غيره .. أليس قلبك (نقيا)..؟

- لكن هذا الدور سيجعلني (وحدي) .. وقد يعرضني للخطر..!

- لا يا صديقي .. لن تكون وحدك . ستجد حتى في صفوف المتدينين من يدافع عنك . إنها موضة (التسامح) ، و (الحوار مع الآخر) ، و نبذ (التطرف) و (ثقافة الكراهية) ..! فقط قل : إنني مفكر ، حر ، مبدع ، (أحب) الإسلام المعتدل .. (ركز) دائما على الإسلام المعتدل ، و أكره التطرف ، و (إقصاء) الآخر ، و إصدار (صكوك الغفران) ، و مصادرة حق الناس في التفكير ..!

- بصراحة .. (مشروعك) هذا يخيفني ..!

- الخروج على السائد ، و الشهرة لهما ثمن .. كما أن (الريادة) الفكرية ،

تتطلب مثل هذه المواقف . ثم أن موضوع المراة شائق و لذيذ .. لو اردت ان تجعله واجهة لطروحاتك الفكرية . إضافة إلى امر لا تستطيع مقاومة إغرائه .. المعجبين و المعجبات أيها العزيز ..!

- هاه .. نعم ..! ما رأيك لو بدات الحديث عن قضايا عامة .. مثل حرية الفكر و الثقافة ، حق المرأة في التعليم ، حقها في التملك ، و الحصول على بطاقة احوال ، أو حقها ..

- لا .. لا .. أترك القضايا العامة ، فهذه ليست محل نزاع أو جدل ، و لن يختلف معك أحد حولها . هذه قضايا الإصلاحيين ، أصحاب النزعة التراثية ، و انت رجل عصري ، ذو رؤية مستقبلية ، يسكنك هم الحرية .. والإبداع .. كما قال صاحبنا في مقاله المذكور ..

نحن بحاجة إلى قضايا تطلق المرأة ، فتنقلها إلى آفاق (رحبة) . فتكون قيّمة على نفسها ، مسؤولة عن حريتها الشخصية .. خاصة حرية جسدها ، و ماذا تصنع به .. بعيدا عن وصاية الرجل ..

.. لا بد أن تكسر (التابو) ، و المحرم ، في العلاقة بين الرجل و المرأة ..

.. انقد مفهوم (قوامة) الرجل على المرأة ، كنموذج للاستعباد ، و السخرة ، وممارسات القرون الوسطى . قل ، لو اعترض عليك أحد ، في هذ المسألة ، أو غيرها : الفقه يتغير بتغير الزمان و المكان ..!

صرح دائما : مشكلتنا مع (المتطرفين) ، الذين يحتكرون الدين، و (يكفرون) الآخرين بسبب (اجتهادهم) ، و حقهم في التفكير .. ويمارسون (الإرهاب) على مخالفيهم ..!

.. هناك إسلاميون (مستنيرون) ، احرص على أن تخاطبهم باستمرار ، و أن تشيد بتسامحهم ، و وقوفهم في وجه الغلاة و المتطرفين .. ومرونتهم في فهم النصوص الدينية ..!

.. التجربة اثبتت ، انه لا يفل الحديد إلا الحديد .. لا يقف في وجه (المتدين) و يدحره ، إلا (اصولي) مثله ..!

فقط أحسن توظيف هذا (التكتيك) .. في (لعبة) التطرف و الاعتدال ..

لا تكرر طروحات غيرك .. كن مختلفا .. و جريئا .. و اكسر السائد و المألوف .. اجعل لك شخصية خاصة ..

فالكتاب الذي اثر في حياتك كثيرا ، ستقول ، حينما تسألك الصحافة : (المرأة الجديدة) لقاسم امين .. و قل إن علي عبد الرازق ، انموذج للمفكر (الإسلامي)

الواعي .. الذي يساير العصر .

ولا تنس أن تذكر ولعلك بالشاعر نزار قباني ، و كيف أن ديوانه (يوميات امراة لا مبالية) ، كان رفيقك منذ فترة مبكرة في حياتك . و اذكر كيف أمسك بك والدك (المتشدد) متلبسا ، و انت في المرحلة المتوسطة ، تقرأ قصيدة (لمن صدري انا يكبر) .. في ذلك الديوان ، فعاقبك عقابا شديدا ، كان له أبلغ الأثر في انتهاجك خطاً مؤيدا للمرأة .. لحريتها خاصة ، و للحريات عموما ..!

ستُسأل ربما ، عن شخصيات عالمية ، توقفت عند سيرتها طويلا ، قل ، بزفرة مصحوبة بالأسى : سيمون دي بوفوار ، و جان بول سارتر ..

اصنع لنفسك هالة المثقف (العولمي) ..

ردد دائما أنك قرأت : (هكذا تكلم زرادشت) .. أكثر من ٥٠ مرة .. و التقيت (صامويل هنتنقتون) في حوارات جانبية .. و حصل بينك و بين (هنري كيسنجر) نقاش حاد في (مانهاتن) ..

و تمت استضافتك في ورشة عمل ، عن الأعمال الفكرية لـ (ميشيل فوكو) في السوربون .. و كنت أحد ضيوف الشرف في (كامبرج) ، في مئوية (برتراند راسل)..!

- ما رأيك لو أني طرحت للنقاش موضوع:

" محنة الإبداع .. بين (قدسية) النص الديني ، و المفهوم (البابوي) ..؟" ..

- مذهل .. يبدو أنك استوعبت الدور بسرعة .. لكن ، هناك وصية ..!

دائما عندما تعلن عن آرائك ضمنها (العبارات السحرية) ، التي تحميك من (المتطرفين) ، و تستثير نخوة (المستنيرين) ، للدفاع عنك :

" الإبداع يعلو على المحاكمة .. التطرف خطر يهدد نهضتنا الفكرية .. الإسلام (المعتدل) هو الوجه المضيء لثقافتنا .."

Good Luck ..

متأكد أننا سوف نراك قريبا ، في موسوعة (Who's who) للمشاهير .. وربما ترشح لجائزة نوبل للآداب ..

و أجزم أنه سوف يشار إليك بكثير من التقدير ، في الدوائر العالمية ، ضمن الشخصيات ، التي لها جهد ملموس في (مكافحة الإرهاب) ..!

الرياض

١٤٢٢ - ٢٠٠١

صحفي في سفارة أجنبية..!

خرج " راشد " جذلا من مبنى سفارة إحدى الدول الكبرى، يتحسس جيبه.. ويطفح البشر على وجهه، وعلامات الرضا تعلو محياه.. قد افتر ثغرة عن ابتسامة.. ما سر هذا الفرح الغامر ؟ هل تراه استطاع تجاوز الزحام ، والحصول على تأشيرة دخول لهذه الدولة ؟ وإذا كان كذلك ، فما السبب الذي جعل القنصل يخصه بهذا التفضيل ؟ هل لأنه كاتب صحفي ؟ ولكن ما علاقة عمله الصحفي بتأشيرة الدخول ، خاصة وأنها تأشيرة زيارة سياحية ، وليست زيارة عمل صحفي ، إذ أن القنصل لا يمنح النوع الأخير من التأشيرات.. وإنما هي من صلاحيات السفير فقط ، وهو حالياً غير موجود .

هذه التساؤلات.. وكثير غيرها ، كان يمكن أن تظل بلا جواب ، لولا أن راشد أثناء توقفه.. وهو ينوي عبور الشارع ، أخرج (ذلك) الذي كان يتحسسه داخل جيبه، والذي قد يظن لأول وهلةٍ خروجه من السفارة ، أنه جواز سفره.. الذي حصل به على تأشيرة الدخول .

كان ذلك الذي أخرجه راشد .. ورقة صغيرة مستطيلة الشكل ، أطال النظر إليها، وهو ينتظر خلو الشارع من السيارات ، وما أن مرت آخر سيارة ، حتى دس تلك الورقة برفق في جيبه، وعبر الشارع ويده على الورقة.

استمر في السير مخترقاً عدة شوارع فرعية ، ترى.. ما الذي يجعله يوقف سيارته بعيداً عن السفارة ؟ حينما وصل إلى السيارة .. تلفت يميناً وشمالاً قبل أن يخرج المفتاح ليفتح الباب ، ثم انطلق بسيارته مندفعاً لا يلوي على شيء، ماراً بعدد من الشوارع الرئيسية. عند إحدى الإشارات المرورية توقف.. وإلى جانبه توقفت سيارة بداخلها شابان ، قال أحدهما للآخر: " هذا الأستاذ راشد.. إنه من (النزه) الكتاب الصحفيين ، ففي الوقت الذي تباع فيه الأقلام وتشترى بحفنة دولارات ، يبقى قلم الأستاذ راشد مترفعاً عن المزايدات .. " .

كان راشد ينصت لحديث الشابين ، فأخذت العبارة الأخيرة تدوي في داخله: " يبقى قلم الأستاذ راشد مترفعاً عن المزايدات .. مترفعاً عن المزايدات.. مترفعاً .. مترفعاً " .. أدخل يده في جيبه بعنف ، وكاد يسحق تلك الوريقة التي خرج بها من السفارة ، إلا انه امتنع في آخر لحظه.

سار قليلاً وبسرعة أقل من السابق ، كان خلالها ، ساهماً ، مستغرقاً في حالة من التفكير العميق.. ربما بالكلام الذي سمعه من الشابين عند الإشارة المرورية ، وبدا وكأنما هو مقدم على قرار ما ، ولكن فجأة تغيرت قسماته ، حينما لمح عن بعد بناية كبيرة ، فتطلقت أساريره ، وقبض على الورقة داخل جيبه ، واندفع بسيارته ، وابتسامة عريضة تحتل معظم مساحة وجهه .

وصل البناية فأخذ يتصنع الوقار ، وهو يتأمل اللافتة الكبيرة التي تعلوها .. تمتم : " البنك الوطني .. هذا ما أريده " ترجل من السيارة وأصلح من هيئته ، وتفقد هندامه ، ثم أخرج نظارة سوداء ووضعها على عينيه ، وسار متوجهاً نحو البنك .

دخل البنك .. وقصد الموظف الذي يصرف (الشيكات) ، ثم انتظم في صف طويل.حين جاء دوره ، سلم (الشيك) ، ومعه بطاقة إثبات الشخصية.. ووقف ينتظر . لاحظ أن الموظف يدقق في بطاقته الشخصية ، ثم يعود ليتفرس في ملامحه .. أشاح بوجهه إلى الجانب الآخر . لكز الموظف زميله الذي بجواره ، وقال هامساً :

- أليس صاحب البطاقة هذه ، الواقف هناك هو (راشد) .. الصحفي المعروف..؟

أجاب الآخر ، بعد أن تمعن في البطاقة ، ودقق النظر في تقاطيع وجهه:

- إنه هو .. ولا أحد غيره ، ولكن لمَ السؤال ؟

- لقد جاء بشيك من السفارة الـ" .... " وفيه مبلغ ضخم ، ترى ما علاقته بالسفارة ؟ وما هو الشيء الذي فعله (ثمناً) لهذا الشيك ؟!

قبض راشد المبلغ ، ووضعه في كيس أنيق .. ومضى خارجاً .

لاحظ القراء أن أسلوب راشد في الكتابة قد تغير ، وتوالت مقالاته عبر زاويته اليومية ، ومقاله الأسبوعي ، واشتم الناس رائحة (ما) من خلالها..! خاصة وأنها موجهة ضد أناس ليس هناك ادنى شك في ولائهم لقيم المجتمع وعقيدته ، وحرصهم على الوحدة الوطنية .. وأمن البلد واستقراره .

بعد مدة تلقى راشد ظرفا أبيض جميل الشكل ، وحينما فضه وجد فيه رسالة رقيقة فحواها :

" العزيز الأستاذ راشد .. ما قمتم به ضد الفئات المتطرفة ، وجماعات العنف ، عمل عظيم يستحق المكافأة ، إن حكومة " ..... " لتقدر لكم ما قدمتموه ، وما ستقدمونه ، من خدمات للديمقراطية والعالم الحر ، في سبيل مكافحة التطرف والإرهاب .. الذي يهدد مصالحنا المشتركة .

عزيزي الأستاذ راشد برفقة هذا الخطاب.. (هدية) متواضعة لكم ، وسيصلكم بصفة ثابتة ، كما نأمل أن يكون بمقدوركم إقناع أصدقائكم الصحفيين بأهمية تضافر جهودنا ، ضد الجماعات الإرهابية المتطرفة ، التي تهدد السلام ، والوحدة الوطنية ، والاستقرار في المنطقة ، مما يعني قمع الحريات ، وتهديد أمن المثقفين وحريتهم .

وتقبل خالص تحياتي..

المخلص لك

" .... "

سفير حكومة " .... "

موظف البنك لزميله :

- أظنني عرفت سر الشيك الذي جاء به راشد..!

قالها وهو يقلب الجريدة اليومية بين يديه ، ويتفحص الزاوية اليومية للأستاذ راشد..

الرياض

١٤٠٤ . ١٩٨٤

مطلوب حياً.. أو ميتاً..!

غرفة رئيس المخابرات ، العقيد رفعت ، تضج بالحركة . شيء غير عادي يبدو أنه قد حدث .. الهاتف لا يهدأ ، و يد العقيد على الهاتف الأحمر ، كأنما ينتظر مكالمة مهمة ..

ضباط برتب عالية يملأون الغرفة .. تكلم العقيد ، موجهاً أوامره للضباط :

- أريد أن تخرج مفارز من الجنود تجوب شوارع المدن .. و تضع ملصقات في كل مكان ، بأوصاف المتهم ، و إعلان عن جائزة لمن يدل عليه حيا أو ميتا ..

يرد أحد الضباط :

- يا سيدي إن الجنود جاهزون .. و لكن المشكلة أنه لا يوجد أحد يستطيع أن يتعرف على المتهم ، أو يعرف أوصافه ..

ضرب العقيد الطاولة بانفعال ، و بعد سيل من الشتائم قال :

- لا أريد أن أسمع كلاما كهذا .. ! تصرفوا .. !! إذا لم تحضروا لي أوصافه بعد ساعتين ستنامون مع الكلاب!!

خرج الضباط من الغرفة ، و بقي العقيد يرد على المكالمات التي لا تنقطع ، ويوجه أوامره للجنود بالانتشار داخل الأحياء و تفتيش المنازل !

خارج الغرفة كان جندي يهمس في أذن زميله :

- ماذا يجري ؟ ! أنا لم افهم شيئا حتى الآن !

فيجيبه مستغربا :

- كل هذا الاستنفار و لا تعرف ؟ !!

ثم يتابع :

هناك كاتب اسمه "ابوالعباس" ، أصدر كتابا يهاجم فيه (الرئيس) .. و يطعن في نزاهة أسرته الكريمة .. !!

"بعد فترة"..

عاد الضباط إلى الغرفة حيث العقيد .. فبادره أحدهم قائلا :

- لقد استطعنا الحصول على أوصاف المتهم يا سيدي ، من خلال تحرياتنا الخاصة !!

العقيد مبتسما :

- كنت أعرف أنكم أهل للمسؤولية ..! هات أوصافه !

- توصلنا من خلال تحرياتنا أن (المذكور) شخص ملتحٍ بلحية كثة و ...

قاطع العقيد منفعلا :

- و هل سيكون غير كذلك ؟! لا يجرؤعلى هذا العمل إلا من كان من هذا الصنف من العملاء !!

يتابع الضابط :

-.. و المذكور حاد النظرات ، متوسط الطول ، أبيض البشرة ، يأكل الطعام بيده اليمنى، ولا يدخن ، بل يستعمل مسواكا ، و يصلي و...

- عظيم .. عظيم !! هذا يكفي ، أعط هذه الأوصاف للرسام ليرسم صورة تطبع على الملصقات التي سننشرها في كل أنحاء القطر !

في هذه اللحظة يدق الهاتف ، فيرد العقيد :

- ماذا تقول ؟ عرفتم أنه منظر لحزب سياسي .. كيف ؟!

- ......

- عثرتم على كتاب له اسمه (السياسة الشرعية)!!

- ......

- حسنا ، أريد أن تزودني بكل ما يجد عن المذكور !!

وضع العقيد سماعة الهاتف ، و توجه إلى الضباط باهتمام شديد .. و قال :

- الرجل ليس بسيطا كما كنا نظن !! لقد اتضح أنه منظر سياسي ، و هذا يؤكد الإشاعات التي تقول أنه في موقع قيادي ، و يتزعم تنظيما امبرياليا (!!) يسمى (السلفية) .. اتباعه يدعون بالسلفيين ..

يتحدث أحد الضباط :

- لقد عرفت يا سيدي من التحقيق .. قبل ثلاثة أعوام ، مع بعض (الرجعيين المتطرفين) المشتبه بهم.. الذين ما زالوا موقوفين لدينا ، أن أبرز مساعديه شخص اسمه (ابن القيم) !!

يدق الهاتف مرة أخرى ، فيرد العقيد :

- نعم .. تكلم ..

- ....

- اللعنة !! موجه عقائدي أيضا !! كيف ؟!

- ....

- هكذا .. له (منشور) اسمه (العقيدة الواسطية) !

اقفل العميد السماعة بعنف ، و هو يكيل الشتائم و السباب ، مهدداً ومتوعداً انه سيفتك به و بعائلته !!

ثم استدار نحو الضباط و خاطبهم :

- اقفلوا جميع موانئ القطر البحرية والجوية ، و جميع نقاط الحدود! لا تدعوا أحدا يخرج ! أصدروا أوامري بالقبض على أي مشبوه !!

بعد مدة ، دق الهاتف في غرفة العقيد ، و أفاد الشخص على الطرف الثاني بأنه تم القبض على أحد الأشخاص .. يحمل منشورا للعميل (أبو العباس) و انه قد استعملت معه (جميع) أساليب التحقيق ، لكنه يرفض الاعتراف بمكان المدعو (أبو العباس)..

طلب العقيد رفعت أن يؤتى بالرجل ، وما أن ادخل عليه في مكتبه .. حتى انقض عليه ركلا بالأقدام ، إلى أن صار ينزف من كل أجزاء جسده ، ثم تناول سلكا كهربائيا موصولا بالتيار و صار يضعه على مواضع حساسه من جسمه ، حتى خر مغشيا عليه .. تناول بعدها إناءا مملوءا بالماء البارد فصبه فوق الجسد المثخن بالجراح !

حين أفاق الرجل ، مد يده .. مشيرا إلى أنه يريد أن يقول شيئا ، فتوقف العقيد بعد أن كان ينوي وضع عقب سيجارة في أنفه !!

تحامل الرجل على نفسه فنهض ، و اتجه نحو مكتب العقيد ، حيث الكتاب الذي اتهم بسببه ، و وضع إصبعه على موضع في الكتاب ، فنظر العقيد فإذا مكتوب : " شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي ولد عام ٦٦١ هـ و توفي عام ٧٢٨ هـ "

بهت العقيد و فغر فاه ، و تطلع إلى النافذة بذهول .. كانت الملصقات قد ملأت شوارع المدن ، و الجنود يجوبون الأحياء و يفتشون المنازل .. بحثا عن (ابن تيمية) ..!

الرياض

١٤٠٣- ١٩٨٤

غوانتانامو .. (ما جاني أمر) ..!

- **غوانتانامو ..**

ليس معتقلاً لرجال ،

بل سجناً لحضارة، وامتهاناً لأمة .. !

يخطو نحو العشرين ، دخل المسجد.. يحمل جرحين : آثار حادث سيارة ، خرج منه محطم الساقين .. محطم القلب ، على (أحلام) للشباب مبكرة ، اغتالها الحادث .. و تداعياته على الجسد و (القلب) ..

جرحه الثاني ، كان هموم أمة .. حملها صغيرا ، و تفتحت (عيون) القلب على واقع بئيس لها .. تخلف و هزائم ..

الوجع هذه المرة جاء من أفغانستان ..

يتذكره .. كان يوم ثلاثاء ، حينما اجتاحت الدبابات الروسية كابل ، في أواخر شهر ديسمبر ١٩٧٨ . كان شتاءا قاسيا .. و ما زال ، ما أطول (شتاءاتنا) ..!

بقي ينتظر يوم الجمعة .. (ستهتز) المنابر ، لهول الحدث .. هكذا حدث نفسه..!

و طفق يبحث عن (جامع) يصلي فيه .

كان يريد أن يصلي .. و كان وجعا غائراً.. مكتوما ، يصرخ في أعماقه .. يبحث له عن (فم).. !

أحس .. كأنما دوائر هائلة من الألم تنداح في لجة أعماقه .. آهة حقيقية تتلوى في صدره .. و طوفان رفض عارم يهدر في شرايينه..

ثم يموت ..

مثل موج هادر .. يبتلعه الرمل على شاطئ خاو .. مهجور..

بلع ريقه المُرّ ، و هويتذكر مقطعا كان قد سمعه ، أول ما بدأ عصفور قلبه الصغير محاولاته الأولى للطيران..

"بي آهة .. عجزت ألقى لها فم.."

قد كبر .. و اعتنق القلب (حبا) آخر .. مع حبه الأول ، و كبرت الآهة ..!

ناء القلب .. فوق (حبه) القتيل بحادث السيارة ، بحب أمة مهزومة .. فحمل الهزيمة .. و احتمل الجراح.

اتخذ مكانا في الصف الأول ، قريبا من الإمام . لم يدر لم اختار ذلك المسجد بالذات . كان يبحث عمن يطلق الصرخة التي تتحشرج في داخله .. و تكاد ، و هي تدق جدران صدره بعنف .. و تركض مجنونة بين قلبه وعقله و حنجرته .. بحثا عن مخرج ، أن تمزق أحشاءه .

الصفوف طويلة .. و كل شيء كان داكنا : الإضاءة الضعيفة ، لون الفرش ، الملابس الشتوية الملونة ، و وجوه (المخبرين) .. و روحه المثخنة .. المظللة بلون الدم:

أمة تنزف .. و عصفور قلب جريح ..

يبلع ريقه المر ، و يتراءى له وجه أمه ، تقرأ الوجع في عينيه .. ليست تدري من أي الجرحين يشكو ..!

يتراءى له وجهها .. تصب فنجان القهوة ، و تكاد تمد يديها ، تلتقط حطام وجع يتصبب من عينيه .. و تردد :

" و الله ما خليك و أنت اليوم خالجني ..

إما اتلف الروح .. أو آخذ معك سجة .."

كثيرا ما سمع منها .. مثل هذا الشعر ، الذي يُحدّث عن الألم .. إذ يعذب الروح ، و يفريها حتى القرار ..

بعض الحزن لا يحتمله القلب ..

و بعضه لا يحتمله الجسد ..

فيفيض من العيون ..

كأنما تريد أن تقول له : أعرف معنى أن يخفق القلب .. يرف عصفوره الصغير بجناحيه !

فتصطخب الجوارح ..

لا تدري أي الجرحين يشكو..!

تخاف أمه من شيئين : أن يفرط عصفور القلب في (التحليق) ، فتغرس فيه الصبابة جرحاً عميقاً ، أو ان يفرط في حب (امته) ، فتخطفه (كتائب) المخبرين..!

فيما بعد ، حين منحوه الحرية بمكرمة (!!) .. قال لأمه :

- كنتِ تخافين ..!

و تعاقبت امام ناظريه ومضات لوجهها .. و وجه السجان ، و(اربع) مملوءة بصلصلة الحديد ، و ألوان القضبان الرمادية ..

و حذاء المحقق يهوي على رأسه ..

و هامات مغموسة في الذل ..

كان يظنه (أصواتهم) ، ضجيج الحناجر.. صدى الباب الحديدي الضخم ، وهو يدقه بقبضته ..

حيث تختنق الحرية .. فلا يبقى لها (نفسا) مسموعا .. إلا صوت قبضة تدق بابا مصمتا ..

ماتت دونه كل الكرامات ..

سألها :

- ما الفرق بين الهاجس و النبوءة ؟

- الآدمية المهدرة ..

ظن أنها قالتها .. و هو يقرأ عنوانا لتقرير (حقوقي) ، ملقى على الفراش .. بجانبها ..!

رأى الباب يُفتح ، و يدلف منه. كان نحيلا يتهادى في أربعيناته . اشتمل بمشلحه ، وهو يهمّ بصعود درجات المنبر . التفتَ وراءه .. كان المسجد قد امتلأ . اكتظت الصفوف ، فأغلقت الأبواب الأمامية .. لتصد تيار الهواء البارد، الذي كان يندفع للداخل .. مؤكدا أنه (ديسمبر) ، و (شتاؤنا) الطويل ..

الأنفاس الحارة ، و الملابس الثقيلة ، اشاعت الدفء ، فبدأت الأجساد تتململ..

دوي أصوات قراءة القرآن .. خلق شعوراً نقله إلى كابل :

كأن الذي يسمعه .. ليس تراتيل سورة الكهف ..

بل عويل الجروح في شتاء مدينة ذبيحة ..!

الخطبة الأولى بدأت .. تحفز .. و زاد تحديقه بالإمام . المسح على الخفين للمقيم ..

أمعن الإمام في حديث الخف ، و (مواصفات) الحذاء ..

و ازداد هوتحديقا فيه ..

عويل الجرح يزداد ..

حرارة المكان تزداد ، و الأجساد تتململ .. معاطف تخلع ، و أعناق تشرئب ..

الإمام كان ما يزال مستغرقا في الخف .. يتنقل بين ظاهر الحذاء و باطنه .. التفت .. التقطت عينه مشهد (الأحذية) السوداء اللامعة متناثرة عند الباب الخلفي ..

و الإمام مازال في (الخف) ..!

لون الأحذية .. داكن أيضا ..

صك ما بين أسنانه ، و كتم نفسا حارا ارتفع منه صدره :

سوف يذكر (مأساتهم) في الخطبة الثانية ..

الحدث هائل .. لا بد أن يشير إليه .. !

في الاستراحة بين الخطبتين ، أطال الإمام التأمل في الحضور ، و بدا أكثر إصرارا على (استثارة) الحاضرين ، بتلمس (معاناتهم) .. مثلما (فعل) في الخطبة الأولى .. !

يوم كانت الأجساد تتململ ، و الأعناق تشرئب .. و الملابس الداكنة تحكم الخناق عليها ..

و الإمام يمعن (...) ..!

و كلام كثير (يثير) حفيظة الصرخة المخنوقة ..

لم يلاحظ الإمام الملابس الداكنة ، و لم يفتقد هواء ديسمبر البارد .. كان ملتحفا بعباءته الصوفية الثقيلة ، و لم يسمع عن أقدام عارية (بيضاء) أكلها الثلج .. تزحف هاربة من شتاء كابل (الأحمر) ..

و كلام يأتي من أعماق .. قتل (الصقيع) الإحساس فيها ..

كان (غارقا) في الخف .. و في مواصفات الحذاء ، فلم يشعر بشيء ..

الخطبة الثانية .. المسح على الخفين للمسافر ..!

حرارة المكان تزداد ..

و الإمام مازال .. مسترسلا في مسائل الخف ..

و العويل اختنق .. تحت الخفين..

الأحذية السوداء اللامعة تراكمت ..

و أقدام عارية تتهتك ..

و (جورب) الإمام كان سميكا .. متماسكا ..

سيدعو لهم في القنوت .. !

ابتدأ الدعاء .. فأصغى بشدة ..
دعا لولاة الأمور .. و لأئمة المسلمين ..
" اللهم أصلح بطانتهم " ..!
سأل الله الغيث .. و دعى أن يكون على منابت الشجر ..
و بطون الأودية ..
حذر من البدع .. و (موالاة) الكفار ..
ثم حمد الله ..
" على ما أنعم به (علينا) ، من نعمه الظاهرة و الباطنة " ..
التي (يحسدنا) عليها الكفار ..
ثم ..
" أقول قولي هذا و أستغفر الله (لي) .. و لكم .. "
- أقم الصلاة ..
في الركعة الأولى قرأ :" الذين إن مكناهم في الأرض .. " .
و في الركعة الثانية : " إنا فتحنا لك فتحا مبينا .." .

بعد الصلاة نهض .. سار باتجاهه ..
اقترب .. كان ثمة شعرات بيضاء في عارضه ، نجت من لون الحناء الأحمر ..
ضحك للمفارقة .. (بيضاء) نجت من (الأحمر) ..!
قال له :
- لم تتحدث عن الغزو ..
- ما جاني (أمر) ..
سحب مكبر الصوت من أمامه .. :
- دعني .. أنا سوف أتكلم ..!
- لا .. ما عندك أمر ..
تجاذب معه السماعة .. أكثر من مرة ..
التفت إلى الصفوف .. كانت طويلة ، و كان ثمة عشرات الأعين تطيل النظر إليه ..
كم (مخبر) بينهم .. !؟ جال هاجس في خاطره ..
يتذكر الآن .. ما كانت أمه تخاف ..

صلصلة الحديد ، و القضبان الرمادية ..
فتنقبض شفتاه على لعاب حامض .. يود لو لفظه ..!
أرخى يده .. غامت الدنيا في عينيه ، و عاد إلى مكانه في الصف ..
و عاد الإمام .. الجمعة التالية ، ليتحدث عن التيمم .. إذا خشي المرء على نفسه البرد ..!
و يدعو : " اللهم أعز الإسلام و المسلمين " .. !

عشرون عاماً و نيف.. مرت ..
أفرط خلالها في حب (أمته) .. و صار الذي خافت منه أمه ..
خطفته (الكتائب) ..
و ظل (الإمام) يحدث الناس في (الشتاء) الطويل .. الطويل .. عن المسح على الخفين ..!

و ثوى هو في (غيبوبة) ..
يحدق في القضبان ، و يدق بابا مصمتا .. يسمع صداه ..
و يخاله .. احتجاج هامات مغموسة في الهوان ..
الإمام (يمعن) .. !
و الأحذية تتراكم ..

اليوم خرج ليصلي الجمعة ..
أمام منصة لعرض الصحف وقف ..
قلّب بعض الصحف و المجلات المصفوفة ..
صور لرجال في (أقفاص) .. و تصريح لـ (شيخ) :
"لا يجوز التعرض للدول و الأشخاص " .. !
و كلمة تتكرر كثيراً :
" غوانتانامو .. غوانتانامو .." ..
دخل المسجد .. أخذ مكانا في الصفوف الأولى ..
ديسمبر مرة أخرى .. و (الغزاة) السود..!
و (رجال) في أقفاص.. و صوت يجلده:
" غوانتانامو .. غوانتانامو .." ..

و تصريح آل (شيخ) : لا يجوز .. لا يجوز .. !

ينزع بقية من (إنسانية) يتشبث بها .. اقتلعها (الغزاة) من رجال في اقفاص ..

تحدث الخطيب عن (زكاة الفطر) ..

و سأل الله المطر ..

و دعا لـ (ولاة الأمر) .. و ائمة المسلمين ..

كانت (الأحذية) متراكمة ..

و لعاب مثل الحامض .. يتراكم .. يشوي حلقه ..

و صوت يجلده :

" غوانتانامو .. ما جاني أمر ..

غوانتانامو .. ما جاني أمر ..

لا يجوز .. ! "

الرياض

١٤٢٣- ٢٠٠٢

الفهـــرس